تعليم حر

نشرة متخصصة يصدرها
مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان تعنى بالحقوق التعليمية في فلسطين

العدد الحادي والثلاثون - آب ٢٠٠٦

المحتويات

- أزمة الرواتب و "تطنيش" الحكومة
- الأول على الدراسات العليا في جامعة النجاح بمعدل٢ ,٩٣٪
- الأقساط الجامعية في رحى الحصار الاقتصادي
- الاختلاط بين التحريم والتحليل
- أوقات الفراغ الجامعي هل هي للهو والتسلية أم للمعرفة ؟!!
- الموهوبون مسؤولية المدرسة أم الأسرة؟
- الخريجون.. حلم وواقع؟!!
- حواجز الذل مرة ثانية
- هل تغيرت نوعية التعليم ؟
- طلبة الجامعات بين مجلس الطلبة وشؤون الطلبة
- تعريفات طلابية..
- التسامح في فضاء التربية والتعليم
- قادة المستقبل...

هيئة التحرير

آمال أبو شنب — رنا خمّوس

محمد فريد — ثائر ثابت

أيمن نوباني

(جامعة النجاح الوطنية - نابلس)

أشرف على تحرير العدد: زياد عثمان

كلمة التحرير

لتطرح مجانية التعليم على الأجندة الحكومية

من المعلوم أن مجانية التعليم أضحت سياسة متبعة ومطبقة في العديد من بلدان العالم، امتثالا لمبادىء الشرعية الدولية لحقوق الإنسان، التي اعتبرت الحق في التعليم من الحقوق الأساسية التي لا يجوز المساس بها تحت أي اعتبار كان، باعتبارها شرطاً ضرورياً للتقدم على طريق الديمقراطية والتنمية المستدامة، ولا يخامرنا أدنى شك أن الشعب الفلسطيني يحتاج قبل غيره من الشعوب إلى أن تجد سياسة التعليم المجاني مكانها على أجندة الحكومة الفلسطينية، تمهيداً لوضعه في حيز التطبيق اليوم قبل الغد لأسباب كثيرة منها ما تتعلق بما ذكر أعلاه من اعتبارات، إضافة إلى كون مثل هذا التوجه يشكل مدخلاً منهجياً لحماية الفئات الاجتماعية الفقيرة والمهمشة في المجتمع الفلسطيني، والتي تزداد اتساعاً بسبب سياسات الإفقار التي تمارسها سلطات الاحتلال الإسرائيلي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وبسبب أزمة الرواتب لموظفي القطاع الحكومي التي نشأت جراء الحصار الاقتصادي والمالي المفروض على الحكومة الفلسطينية التي جاءت بخيار ديموقراطي. صحيح أن قرار الحكومة الفلسطينية بتخفيض الإعانة المدرسية وتحديدها بعشرين شيكلاً يخفف نوعاً ما من العبء المالي الملقى على كاهل ذوي الطلبة، وبنظرنا يشكل خطوة بالاتجاه الصحيح، ولكنه يبقى دون الطموح خصوصاً إذا ما علمنا أن النظام الأساسي الفلسطيني الذي هو بمثابة الدستور ينص على مجانية التعليم الفلسطيني.

بالتعاون مع الممثلية الإيرلندية في فلسطين
In cooperation with Irish Representative Office

الآراء الواردة في المقالات لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان ✕ ص.ب 2424 ✕ رام الله ✕ فلسطين ✕ هاتف: 022961180 ✕ فاكس:022961181 ✕ rchrs@rchrs.org

الافتتاحية

أزمة الرواتب و"تطنيش" الحكومة

أيام قليلة تفصلنا عن افتتاح العام الدراسي الجديد الذي من المفترض أن يبدأ في الأول من أيلول المقبل، وبطبيعة الحال فإن انطلاق العام الجديد يحمل معه آمالاً جديدة للطلبة بأن يعيشوا عاماً دراسياً مليئاً بالجد والمنافسة والمرح أيضاً، ولكنه يحمل مخاوف وهموماً جديدة أيضاً، بحكم أن الواقع الفلسطيني عانى ولا زال يعاني من تقلب وعدم استقرار في المسيرة التعليمية، بسبب الاحتلال الإسرائيلي وسياساته العدوانية الغنية عن الذكر والتفصيل لأنها باتت معروفة للقاصي والداني؛ ومع ذلك فإنه لا بديل أمام الإدارات المدرسية عن الاستعداد وتهيئة كل الظروف والمناخات الضرورية تعليمياً وتربوياً وبما يرقى إلى تخطي الصعاب والعقبات، والتقدم في العملية التعليمية نحو الأمام بثبات واقتدار.

ولا اعتقد أننا نضيف جديداً بالقول إنه ومع بداية كل عام دراسي جديد تنشأ هموم جديدة لدى فئات معينة من الشعب الفلسطيني، وهي الفئات المهمشة التي تواجه ظروفاً اقتصادية صعبة ومحرجة، تحول دون قدرتها على توفير المتطلبات الأساسية لأبنائها الطلبة من معونات مدرسية وتجهيزات أخرى كثيرة.

ولكن الجديد الذي نضيفه هذا العام يتمثل في اتساع دائرة الفقر في المجتمع الفلسطيني عما كانت عليه في سنين ماضية؛ وهذه الزيادة الجديدة وغير المحسوبة بتقديرنا، جاءت من القطاع الحكومي الذي وجد نفسه وبسبب الحصار الدولي المفروض على الحكومة الفلسطينية، يئن تحت وطأة الفقر والحاجة بسبب انقطاع الرواتب، حيث لم يقبض الموظفون الحكوميون رواتبهم منذ ستة أشهر عدا بعض السلف التي لا تسمن ولا تغني من جوع؛ وغني عن البيان أن هذه الوضعية الجديدة زادت من نسبة الفقر العام في المجتمع الفلسطيني، وعلى المستوى الخاص فقد ولدت أزمات وإشكالات عويصة لدى قطاع واسع من الطلبة الذين يعتمد أولياء أمورهم على الراتب الحكومي، ولا سيما طلبة الجامعات الذين تزيد احتياجاتهم المادية وكلفة التعليم لديهم أضعافاً مضاعفة قياساً بطلبة المدارس.

نقابة العاملين في القطاع الحكومي وإدراكا منها لحجم المشكلة التي تولدت عن انقطاع الرواتب وتحسباً لانعكاساتها السلبية على الطلبة من أبناء الموظفين الحكوميين، ناشدت الرئيس الفلسطيني محمود عباس، وكذلك ناشدت رئيس الوزراء الفسطيني اسماعيل هنية، التدخل وأخذ نوع من الإجراءات الحكومية التي من شأنها تحقيق بعض الحماية والطمأنينة لأبناء الموظفين. وحتى كتابة هذه الأسطر ومع إغلاق باب التسجيل في معظم إن لم يكن كل الجامعات الفلسطينية، لم تتلق النقابة أو أولياء الأمور الذين تقدموا بمناشدات لذات الجهات الرسمية آنفة الذكر أية إجابة.

إذن هو التجاهل التام لقضية لا نعتقد أنها شكلية، والحديث فيها بنظرنا ليس ترفاً فكرياً، وللعلم لم يطلب أحد من الجهات الرسمية تكريس كل الوقت والجهد لها؛ بل ما كان مطلوباً أن تعطى الفائض من وقت صانعي القرار، كي لا يتهم الطلبة وذووهم أنهم ممن يعيق مسيرة التحرير والبناء، أو في أقل تقدير حرفها عن مسارها الصحيح وهذا سيعد من الكبائر.

ما طالبت به النقابة لا يعدو أكثر من كونه ضمانة أخلاقية لا أكثر ولا أقل، علماً أن هؤلاء الطلبة وجدوا أنفسهم في مأزق هو بالأساس مأزق حكومي ناجم عن عدم الإيفاء بالتزاماتها تجاه موظفيها، صحيح أن الحكومة هي أيضا ضحية حسابات السياسة الدولية غير المتوازنة، ومع ذلك فهي مسؤولة بالمعنى الأخلاقي والقانوني أيضاً، وبالتالي عليها أن تجترح حلولاً وتتخذ تدابير من شأنها أن تقدم إجابات للتحديات التي تواجه المجتمع وهذا في صلب واجباتها. وبالملموس فإن ما هو مطلوب في قضية الطلبة أبناء الموظفين ليس بالضرورة إعفاءات أو هبات حكومية والحكومة بالكاد توفر بعض المصاريف الضرورية لتسيير أعمالها، بل المطلوب أقل من ذلك بكثير. فقط نشدد على كلمة فقط السماح لأبناء الموظفين من الطلبة الذين سيلتحقون بالجامعات الفلسطينية أو هم ملتحقون أصلا أن يسجلوا ويتابعوا دراستهم كما غيرهم من الطلبة، مع أخذ ضمانات على أولياء أمورهم بتحصيل حقوق الجامعات من الرواتب مباشرة في حال انتظامها. هل مثل هذه الضمانة صعب أو مستحيل؟

عز على الجهات الرسمية أن تعطي أية ضمانة من أي نوع أو مستوى كان، الأمر الذي أثار أسئلة كثيرة في أوساط الطلبة وذويهم، أبرزها سؤال لماذا كل هذا التطنيش وهل يعني ذلك أن القضية المثارة لا تستحق التعليق أو الرد - مجرد الرد - أم أن الحكومة وجدت نفسها أمام قضية معقدة لا ترغب أن تجد نفسها متورطة فيها؟ ربما؛ وربما لديها أسبابها واعتباراتها ومنها على سبيل المثال أن الحكومة لا تعتبر هذة القضية إحدى أولوياتها، في ظل "التحديات الكبرى" التي تواجهها على المستوى السياسي والوطني التحرري. على أية حال مهمتنا ليست البحث عن أعذار لصانعي القرار بل التساؤل وإثارة المزيد من الأسئلة التي تختزنها صدور الكثير من الآباء والأبناء الطلبة الذين وجدوا أنفسهم ودون رغبة منهم في وضع لا يحسدون عليه، وهم غير مسؤولين بالمعنى القانوني عنه، ومع ذلك فلم تكن رغبتهم مقاتلة الناطور بل أكل العنب ولكن على ما يبدو أنهم عادوا "وسلتهم فارغة" فما العمل؟

الأول على الدراسات العليا في جامعة النجاح بمعدل ٩٣,٢٪
اختيار التخصص المناسب السبيل الأمثل للتفوق

محمد نائل عمور

الهواية مع القدرة العلمية

يتحدث دراغمة عن أسباب تفوقه قائلاً: "إن من أهم أسباب النجاح والتفوق اختيار الإنسان للتخصص الذي يحبه، ويتناسب مع مستواه العلمي، ولا يرضخ لرغبات الآخرين في اختيار التخصص نيابة عنه. كما أن الإرادة الصلبة بالإصرار على التفوق، مع التوكل على الله هما أساس النجاح في الحياة، وكما يقولون "إنجازات اليوم هي أحلام الأمس"، وبالتالي فان الحلم ووضع الأهداف من أهم أسباب التفوق، ولكن على الإنسان أن يبذل كل طاقاته من أجل الوصول إلى الهدف".

ويؤكد دراغمة على أهمية اختيار التخصص المناسب ويستشهد بكلام الدكتور إبراهيم الفقي - الخبير في التنمية البشرية، وصاحب كتاب صناعة النجاح - بمقولته "إن من بين كل شخصين في العالم، يوجد شخص يريد أن يغير أمله، فإذا تخيلنا هذا الكم الهائل في عدم الرغبة في التخصص، وما يتبعه من تقصير في أداء الواجبات، سندرك أسباب تأخرنا في كثير من المجالات، لذلك على الإنسان أن يكون صاحب رؤية واضحة في الحياة، يضع هدفاً معيناً» يحبه حتى يستطيع أن ينجح في تحقيقه، والنجاح في حياته".

الصعوبات

دراغمة الطالب تعرض لصعوبات كثيرة، لكنها لم تقف عثرة في طموحه، فلم يستسلم لها لحظة واحدة، حيث تمكن من تحديها والتغلب عليها، ويتحدث عن أهم هذه العقبات فيقول "كان ضيق الوقت أكبر عائق بالنسبة لي، حيث كنت أعمل في الجامعة منذ الساعة الثامنة وحتى الرابعة مساء، وأحيانا حتى الخامسة، وبالتالي كنت بحاجة إلى تخصيص وقت كاف للدراسة الأمر الذي أرهقني كثيرا".

ويضيف دراغمة "كما أن الظروف المادية الصعبة، والأقساط المرتفعة لدراسة الماجستير، كانت جزءاً من العوائق، ولكن الحمد لله فقد اعتمدت على نفسي في الدراسة، ولم أقبل مساعدة مادية من أحد، حتى من أهلي، وكنت أغطي مصاريف الدراسة من راتب الجامعة".

ضيق الوقت

على الرغم من أنه متزوج ولديه أسرة صغيرة، ويعمل في الجامعة لوقت متأخر، ويدرس الماجستير، إلا أن ذلك لم يؤثر على حياته الاجتماعية والأسرية، على العكس من ذلك فقد تفوق في الجانبين: الجامعي والاجتماعي، ويتحدث دراغمة عن تجربته في هذا المجال فيقول "كنت أحاول قدر الإمكان ألّا تؤثر دراستي على حياتي الاجتماعية، وهنا تبرز أهمية تنظيم الوقت واستغلال كل دقيقة في حياة الإنسان، فلو أن كل واحد منا نظم وقته بالشكل الصحيح، لما قصر في أي من واجباته".

ويضيف "النجاح يكون بأشكال متعددة، إما أن يكون في جانب واحد فقط، وعلى حساب أمور أخرى متعلقة بالحياة الاجتماعية والعملية، وإما أن يكون في المجالات جميعها دون تقصير في أي منها، وهذا هو النجاح المتكامل والمطلوب، والأمر لا يحتاج سوى وضع برنامج واضح المعالم، يتحدد فيه الهدف، وآلية العمل وتنظيم الوقت".

الصداقة والاحترام

في العلاقة بين الطالب الجامعي ومدرسه، يتحدث دراغمة عن كونه طالباً ومحاضراً في الوقت

السيرة الذاتية

أحمد محمد دراغمة، مواليد طوباس عام 1978، حصل على الثانوية العامة بمعدل 89.9%، عام 1996، درس الهندسة المعمارية في جامعة النجاح الوطنية، وتخرج في 2001 بمعدل 82.3% وحصل على المرتبة الثانية على دفعته، وبسبب تفوقه تم تعيينه مساعد بحث وتدريس في جامعة النجاح بكلية الهندسة، سجل لدراسة الماجستير في الهندسة المعمارية، تخصص تصميم معماري، للسنة الدراسية 2002/2003، وحصل على المرتبة الأولى في الدراسات العليا، لدفعة 2005/2006، بمعدل 93.2%، متزوج ولديه طفلة.

كان تفوق أحمد منذ صغره وفي مراحله الدراسية المختلفة، ولكنه تميز بشكل كبير في دراسته الجامعية وخاصة في دراسة الماجستير. في العادة الارتقاء بالتخصص يزيد من صعوبته، لكن الأمر بالنسبة لأحمد كان مختلفاً، فتعمقه في تخصصه زاده تفوقاً وإبداعاً.

لم يكن اختياره لدراسة الهندسة المعمارية عبثياً، سواء في البكالوريوس أو الماجستير، فيقول: "دراستي واختياري للتخصص كان رغبة وهواية به، فتوجهي كان فنياً، لذلك حاولت أن أمزج بين العلم والفن، وتخصص العمارة الذي يحتاج إلى الصبر والدقة، وهي صفات أمتلكها وأحبها".

نفسه، وعن العلاقة التي يجب أن تكون سائدة يقول: "أعتقد أن الصداقة هي أفضل علاقة بين الطالب الجامعي ومدرسه، ولكنها يجب أن تقوم على أساس الاحترام المتبادل، والتي يدرك من خلالها كل منهما ما له وما عليه، على أن تكون الصداقة خارجة عن نطاق التأثير في العلامات".

التميز ليس بالشهادة فقط

كما يرى دراغمة أن التميز ليس فقط بالشهادة العلمية وإنما بالأخلاق والتعامل وحب الآخرين، فالعلم يجب أن يتكامل مع الأخلاق، ويقول : "ليس شرطاً أن يكون الإنسان متميزا إذا كانت شهادته العلمية عالية، على الرغم من أهميتها، فقيمة الإنسان لا تكمن فقط بدرجته العلمية، ولكن القيمة الأساسية، تكمن في قدرتنا على العيش بإنسانية تنبض بالمحبة، وحسن الخلق والأدب مع المجتمع من حولنا، وهذا يتطلب أن يكون الإنسان صاحب هدف ورسالة في حياته".

وفي نهاية حديثنا إليه قدم لنا السيد دراغمة نصيحة إلى الطلبة الذين نجحوا في امتحانات الثانوية العامة بأن يأخذوا فكرة واضحة عن التخصصات المتاحة لهم للدراسة، وأن يسألوا أصحاب الاختصاص، حتى يختار كل واحد منهم تخصصاً مناسباً لقدرته العلمية ورغبته وهوايته، ليضمن نجاحه وتفوقه بنسبة كبيرة.

الأقساط الجامعية في رحى الحصار الاقتصادي

ثائر صالح

ودعنا بعضنا، تصافحنا ببرود، تعانقنا على أمل اللقاء في فصل أكاديمي جديد، لكن سرعان ما صُدمنا بواقع مأساوي عنوانه (كساد اقتصادي، حصار عالمي خانق، ديون بلا رحمة، حرب من اجل لقمة خبز حاف، عجز سياسي، ووو).

هذا الحصار الاقتصادي المر، وجمود الرواتب وعدم وصولها للموظفين المساكين ينذر بعواقب وخيمة، ستزيد الوضع الراهن قتامة ويأساً ورعباً وربما رغبة في انتحار فاشل.

لا نريد الغوص في بواعث المشكلة أو الكارثة الاقتصادية السياسية التي نعيشها، فكلنا يعلم الأسباب والمسببات، وبمقدرتنا أن نستشرف التداعيات التي تبشر بكوابيس سوداوية، مفادها أن تنذرنا بحتمية العودة إلى الصفر.

في زمن البربرية والاحتلال الهمجي، الذي يزرع في قلوبنا بذور اليأس ويغرز في أجسادنا أشواك المستحيل، وطلبتنا يردون عليه بمعاول الإرادة و"شواكيش" الأمل؛ فشعبنا عصي على الكسر والعصر والانحناء، وعشقه للعلم والتعليم يطاول حبه للزيت والزعتر والفلافل أيضاً.

فالعلم منبعه الحرمان من أبجديات الحياة. كانسان يزرع جنته بالأرض، والفلسطيني كذلك يتناسى جراحه وهمومه، ويمتشق العلم سلاحا ً يقارع به عاديات الزمن وحبال المحن.

لكن الطالب الجامعي كيف يشق دربه دون سلاح؛ فالمال عنصر رئيس وحيوي؛ لاستكمال دراسته. ومن هنا سيصرخ بقوة في وجه المقولة الشعبية: "اللي معوش بلزموش".

فمن حق طلبتنا أن يواصلوا تعليمهم، وأن يتقاضى ذووهم رواتبهم، ومن حق الآخرين على مسؤوليهم أن يوفروا لهم أقساطهم، وحقهم على جامعاتهم أن تخفف سوط القسط الموجع، فنحن لا نعيش في أوروبا ولا في أميركا، فالأقساط الجامعية في ازدياد مطّرد، وواقعنا المعيشي في انحدار مرعب.

وعند الحديث عن القروض الجامعية فهي لا تساوي شيئاً أمام المجموع الكلي للقسط، ومن هنا أتذكر زميلاً لي حدثني يوما ساخرا حينما حالفة الحظ في حصوله على قرض جامعي، بعد إجراءات روتينية مملة وإحضار والده لكفالته ووو.

بكل يأس وتهكم قال لي : "اللي بنوخدو في قرض بعوضوه في المساقات اللي بنحملها... المكتوب ما منو هروب".

وفي الفصل الصيفي القصير، الطلاب في تناقص، والسبب وضعنا الدراماتيكي الصعب، والنتيجة فصل أكاديمي تجمعه المتناقضات؛ فهناك من رزقه الله من حيث لايدري ودفع قسطه، وهنالك من استدان رسوم قسطه بذل وهو لا يدري كيف يسددها، وأخر آثر العمل الشاق في الباطون من اجل لقمة العيش.

لسان حالنا يقول: إلى متى سنظل نئن في رحى الحصار الاقتصادي المجحف هذا؟! كيف نبني دولة المؤسسات؟! ونشيد صروح العلم؟! وعرق جبيننا يجف،

إلى متى نحلم بالإصلاح والتأجيل... إلى متى؟! أرجوكم كفى... ارحمونا.. لعل عدالة السماء ترحمكم..؟؟!.

الاختلاط بين التحريم والتحليل

أيمن نوباني

منذ البداية... أي منذ إيجاد الانسان ككتلة حية نابضة بالحياة، وهو يمارس سلوكياته ضمن إطار اللاوعي الذي أوجدته البدائية... وحواء الى جانبه في بدائيته وعفوية تصرفاته، إلا أن هذا الحال لم يستمر. فمع تطور اللغة الصوتية والرموز الى لغة منطوقة وحروف، وتسارع الزمن نحو الحضارة، وتعقيد الحياة في ظل النمو البشري الهائل تشابكت العلاقات بين الجنسين، لتصبح أشد تعقيدا من إطلاق لفظة ذكر أو أنثى.

ومن هنا يكون الاختلاط أحد إفرازات الحياة اليومية للبشر، إلا أن اختلاف الثقافات والديانات، جعلت هذه الظاهرة تكتسي بالضبابية، فما هو مفهومه بين الطلاب الأكثر عرضة للاحتكاك ببعض بسبب التعليم؟ وهل يقبلونه؟

الإسلام والاختلاط...

في لقاء مع الدكتور غسان بدران - المحاضر في كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية - حول موضوع الاختلاط ورؤية الإسلام لما يمكن أن نعتبره ظاهرة مواكبة للتقدم الزمني، أكد على عدم تحريم الإسلام له، بالمعنى العام لكلمة الاختلاط، وإنما حرم الإسلام السلوكيات المنحرفة الناتجة عنه. وساق عدة أمثلة على رؤية الاسلام، أنه لا يمكن تصور الحج كعبادة دون أن يكون هناك وجود للجنسين، وكذلك الأمر في الأسواق، وغيرها من الأمور.

أما من ناحية التعليم فقد ركز بدران على ماهية الاختلاط بالنسبة للطلاب، وما هو تصورهم عنه. وبعد أن طرح فكرة التحريم جانبا، تساءل عن إمكانية اعتبار تبرج الفتيات، والعلاقة مع الطلاب والخلوة بينهم مباحا بحجة العلم؟

واستطرد مكملا تساؤله عن طبيعة العلاقات بين البشر، ولماذا نخضع أنفسنا للمقاييس الغربية، ولماذا لا يكون لنا جامعات خاصة بالطالبات وحدهن؟! فهناك بعض الدول التي تحتوي على معاهد مقتصرة على الطالبات، كما توجد أصوات تنادي بفصل الجنسين، نتيجة الاعتداءات الجنسية المتزايدة، وانخفاض المستوى التعليمي.

أما عن رأيه في الاختلاط فيقول " أنا لست ضد الاختلاط بصورته الإيجابية، أي ضمن الضوابط الشرعية، وعادة الاختلاط لا يكون إيجابيا لأن الذين يؤيدونه، لا يحملون الأفكار الإسلامية، أو يغلبون رغباتهم وشهواتهم، ومن هنا يكون تأييدهم نابع من مصلحتهم الشخصية، وليس لأن الاختلاط مفيد ومنتج".

ويدلل على صحة أقواله بوجود الكثير من السلوكيات المتناقضة لآراء المؤيدين، فهم يحللونه لأنفسهم، يحرمونه على غيرهم، بالاضافة إلى أن هؤلاء يرفضون الزواج من الفتاة التي تسير في فلك الاختلاط.

علم الاجتماع والاختلاط...

أما علم الاجتماع الذي يعنى بالعلاقات الانسانية بصورة خاصة وأنه يعتبر الاختلاط ظاهرة انسانية طبيعية، وعن هذا الأمر حدثنا الدكتور مصطفى الشنار - المحاضر في قسم علم الاجتماع في جامعة النجاح الوطنية - قائلا "إن الظاهرة طبيعية، وجدت منذ الأزل، أي منذ وجد الإنسان، بدليل أن الرجل يختلط مع المرأة في البيت والسوق والعمل، وفي المجتمع الاسلامي المرأة تصلي في المسجد، والفصل حاليا هو عرفي وليس ديني".

ويشير الشنار بكلامه إلى الاختلاط في المجتمعات العربية والاسلامية، باعتباره ظاهرة تاريخية محصورة اجتماعيا، تتفق مع نظام القيم والعادات والتقاليد.

ويؤكد أن الاختلاط المرتبط بالمنظومة الغربية للقيم، لا يجد له قبولا، ومسوغا فكرياً وإسلامياً، وإن كان يمارس بالواقع.

الطلاب ما بين مؤيد ومعارض...

الطالبة مانيا عبيد ترى أن الاختلاط بحد ذاته ليس هو الخطأ، مادام مقيدا بالعادات والتقاليد والدين، ويعود ذلك للبيئة الأولى التي يربى فيها الطالب.

وتقول عبيد إن الاختلاط يجب ألا يكون عائقا للتعليم الجامعي، وعن رأيها في الاختلاط قالت "الاختلاط الموجود حاليا في الجامعة أنا ضده، لأن كل طالب نسي كيف ترعرع وانقلبت مبادئه وعاداته، ولو تصرف كل شخص حسب طبيعته لأصبح الاختلاط طبيعيا".

أما الطالبة ر.ع. فتؤيد الاختلاط في التعليم وترى أنه يخلق عند كلا الجنسين لتطوير أنفسهم، فتقول "فهو

يدفعني للنجاح في دراستي، ولكن يمكن أن يكون سلبياً خاصة في الساحات.

ويرى الطالب أحمد البيتاوي - خريج قسم الصحافة في جامعة النجاح - أن الاختلاط ضرورة بشرية. وشدد البيتاوي على أن المشكلة لا تكمن في الاختلاط نفسه، ولكن تكون فيما بعده من ممارسات، لذلك يجب الالتزام بحدود الأدب العام وعدم الخلوة.

أما عن الحلول، فقال البيتاوي: على مستوى القاعات الدراسية، يجب الفصل بين الطلاب والطالبات، أما في الساحات فلا يمكن الفصل، لأننا لسنا في جامعة إسلامية.

وعند سؤالنا عن رأيه الشخصي أجاب بأنه ليس مع ظاهرة الاختلاط، ولكنه واقع مفروض لا يتماشى معه.

إلا أن طالب الماجستير مازن بلوطة قال بأن الاختلاط شيء ضروري في مرحلة الجامعة، لأنها مرحلة متقدمة من عمر الإنسان، ولا يستطيع من ناحية طبيعية أن يعيش بمعزل عن نقيضه الجنسي.

وأشار بلوطة إلى أن هذه المرحلة مصيرية للإنسان في مجتمعاتنا العربية، والاختلاط في هذه المرحلة يساعد كثيراً في صقل شخصية الطرفين، والأمر عائد إلى الثقافة السائدة.

وعن الاختلاط بشكل عام قال بلوطة إنّ لديه رؤية اجتماعية مختلفة، فهو مع الاختلاط المطلق، ولكن حسب معاييره الخاصة، لأنه لا فرق بين الرجل والمرأة.

لا يمكن اعتبار الاختلاط إلا ضرورة ملحة من ضرورات العصر، لها سلبياتها كما إيجابياتها، كما هو الحال عند بروز أي ظاهرة جديدة، قديمة، وما على المؤيد أو المعارض إلا النظر الى الجزء المليء بالكأس بدلا من التحديق إلى الجزء الفارغ.

أوقات الفراغ الجامعي هل هي للهو والتسلية أم للمعرفة؟!!

ثائر ثابت

لا أحد يمكن له أن ينكر قداسة الوقت، وأهميته في الحياة الجامعية، لا سيما وأننا نعيش في عصر يمتهن الإيقاع السريع، والتطور اللامحدود؛ فالمجتمع الذي يسعى لكي يواكب ركب التقدم يجب أن ينظم وقته، ويحترم مواعيده، والعكس بالعكس تماماً صحيح فالمجتمع الخامل، الفوضوي، لا يكترث بوقت، أو ميعاد محدد، أو ساعة منبه.

هذا ليس بالأمر الجديد، وما أود الحديث عنه هو أوقات فراغ الطلبة في جامعاتنا فالكل يعلم أن الجامعة ليست مدرسة ابتدائية، أو مؤسسة محصورة في إطار ضيق، هدفها تزويد الطالب بمساقات متنوعة من إجبارية واختيارية وحرة.. أو حقنه بمعلومات جاهزة وخبرات تقليدية. لذا فالوقت الذي يمضيه الطالب الجامعي يومياً يجب ألّا يقتصر على درس أو محاضرة أو واجب أو.. فهنالك وقت فراغ مفتوح، يكون بمنزلة نافذة يستنشق خلالها الطالب أريج الحياة، نافضاً عن كاهليه غبار الروتين والتلقين.

وفي أثناء جولة مكوكية في عالمي الجامعي - النجاح الوطنية مبحراً في أروقتها وساحاتها ومبانيها، محاولا استكشاف حقيقة أوقات فراغ الطلبة، وكيفية توظيفها من جانب الطلبة، وجدت نفسي أمام السؤال التالي: هل توظف لغايات المطالعة والمناقشة الجادة والحوار الهادف؟! أم للثرثرة "والبربرة" والجدالات البيزنطية؟! أم للكافتيريات والسندوتشات؟! أم للرنات والنغمات وكليبات "الواوا وأخواتها"؟؟!

انطلقت في جولتي القصيرة من مشارف مبنى قسم الصحافة أو المشاغل سابقاً، فزملاؤنا طلبة أحد الأقسام هم في انشغال دائم بمطالعة الكتب، والثرثرة الممزوجة بصيحات حربية، ناهيك عن التغزل والتعليق على كل طالبة فاتنة الجمال، أكانت صاعدة على الدرج أو هابطة من عليه.

أما حين تخرج من مبنى الصحافة تتأمل درج كلية المجتمع، ذاك الدرج الشبيه بسور الصين العظيم، لكن الفارق يكمن في علاقات دبلوماسية المستوى ما بين الطلاب والطالبات.

وتصعد مبنى الآداب الأشبه بالكعبة المشرفة، لكن الاختلاف في عدد الدورات والأدعية التي تقال في كل دورة كاملة، مع أن البعض يصف طالبات الكلية "بالراهبات "بسبب لبسهن الشرعي المتزمت، وتمركزهن المكثف في المبنى.

وعندما تصل الساحة الحمراء، تتنفس الصعداء، فهذه الساحة للعلم فقط تمتاز بتحررها الفريد من نوعه، ومواكبتها لآخر ماركات الموضة العالمية، وتبهرك فيها الأحاديث الثورية عن "كتائب نانسي عجرم وهيفا وإليسا، وبطولات تامر حسني".

وتترنح ثملاً على ألحان الضحكات الطفولية، فهذه القصص المسلية لاتنتهي، وعلب الشوكولا والشيبس والكوكتيل، لا تبارح أصالة المكان وأناقته الغرائبية. ومن "الحمراء" قلعتنا الثورية، لكافتيريا الطلبة، يصيبك دوار مصدره الموسيقى الصاخبة، والضحكات العاصفة، وتحزن حين تقتحم صمت المكتبة، تعتذر للكتب المكدسة على رفوفها، وتتذكر حينها ذاك الطالب الخريج الذي لم يعرف شاعرنا الكبير محمود درويش، أو عدونا العظيم ثيودور هيرتزل، ولا تلك الطالبة التي لم تدخل المكتبة إلا لهندسة حجابها في أحد حماماتها.

تعتذر للمكتبة مرة أخرى، وتضيع في الساحات الفسيحة مابين الهمهمات، والنظرات الفضولية، والتعليقات الساخرة، ونقاشات السياسة التي لا تغني و لاتسمن من جوع.

ربما شارفت جولتي على النهاية، لكنني اختتم بنصيحة لزملائي الطلبة أن يسخروا أوقات فراغهم لما فيه منفعة لحياتهم الأكاديمية، فحياة الجامعة مقارنة بغيرها من مراحل العمر، قصيرة ومزدحمة بالعلاقات والتجارب والخبرات والمعارف التي يصعب مسحها من الذاكرة.

ويحضرني تأكيد لنصيحتي قول الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي "استفيدوا من اليوم الحاضر.. لتكن حياتكم مذهلة.. خارقة للعادة.. اسطوا على الحياة.. امتصوا نخاعها كل يوم ما دام ذلك ممكنا.. فذات يوم لن تكون شيئا.. سترحلون وكأنكم لم تكونوا..".

الموهوبون مسؤولية المدرسة أم الأسرة؟

محمد فريد

عشرات الآلاف من الطلاب يغادرون كل صباح منازلهم، يحثون الخطى نحو بيتهم الثاني الذي يضمهم جميعاً في مبانٍ موحدة هي المدرسة... يمشون بتمهل محملين بمستقبلهم الذي يحلمون به. هذا المستقبل الذي يلوح بأفق المدرسة من كتب وكراسات وواجبات يومية، إلا أن الأهم في ذلك هو ما يظهر في كيفية تعامل المدرس مع الطالب وتعليمه أدبيات التفكير والنقد، حيث تسمو المدرسة باعتبارها المرتع الخصب لظهور أصحاب المواهب، واحتضانهم وتنمية مواهبهم الإبداعية، ليصبحوا قادة الشعب نحو التقدم.

فعاشقو الرسم يداعبون الأوراق بأقلامهم وألوانهم، والشعراء الصغار يضعون أطراف أقلامهم على حافة امتهان الكلام والأدب، وآخرون يرون في الرياضة استكمالا لنموهم العقلي ووو.. إلخ. إلا أن هؤلاء يحتاجون إلى شمعة تنير لهم ظلام دربهم نحو تطوير ملكاتهم الإبداعية.. فتظل أرواحهم في توق إلى يد تمتد لتساعدهم... والمعلم هو المسؤول وهو اليد الممتدة لالتقاط الموهبة وتنميتها وصقلها وفق إمكانيات المدرسة.

وهناك مواهب ظهرت ولم يتم رعايتها من المدرسة أو الأسرة اختفت وتبددت الامر الذي يتطلب أن يكون هناك مسؤول عنها، ومن يتبعها، ويعامل أصحابها وفق إحساسهم المرهف للكثير من الأمور تبعاً لمواهبهم التي تحتاج إلى صقل؟؟؟

مسؤولون متعددون

ولأن المواهب هي ذخر الأمة يجب أخذ العبرة من الأجداد الذين كانو يفتخرون بعدد شعرائهم الذين يذودون عن القبيلة أمام العدو، لا بعدد ذكورهم أو أموالهم إلا أن الأمر كان لا يخلو من التفاخر بالأمرين السابقين.

ولأن المدرسة هي الأكثر تأثيراً في الطالب حيث تلازمه منذ مراحل الطفولة، يقع عليها تاليا بحكم هذا التلازم العبء الأكبر في الغاية والتوجيه، وهذا لايعني أن نهمل دور الأسرة أو نسقطه كلياً، وبهذا الصدد يرى مفلح أسعد - المعلم في مدرسة بيتا الثانوية أن "الأسرة هي المسؤولة أولا عن تنمية مواهب الطفل ثم يأتي دور المعلم الذي يتعرف أكثر على احتياجات هذا الطالب، و يحاول أن ينميها من خلال مجموعة من المهارات والكتب التي تناسب عقليته وتدفعه للتفكير المستمر. ويضيف قائلاً ":كما يأتي دور المدرسة في إشراك الطالب في الفعاليات التي تعزز مواهبه وتطوره وتحسن أدائه بشكل عام".

إلا أن حسن معالي - المدرس في إحدى مدارس رام الله - يختلف في الرأي مع زميله، فيعقب قائلاً: "إن المؤسسات تقوم بالاهتمام بالمواهب خلافاً للمدرسة، لكن وللأسف فإن هذه المؤسسات غير موجودة فلا توجد مؤسسات تتوجه للمدارس لتكشف عن هذه الحالات واحتضانها و صقلها"، موضحاً أن الموهوب يضيع بين أفراد المجتمع، وتضمحل موهبته حتى تختفي إذا لم يقم أحد بتوفير ما يحتاج إليه، وبالنتيجة فالإهمال يؤدي إلى قتل الموهوب بشكل قاسي.

ويشير معالي إلى أن نقمة الطالب تدفعه إلى نسيان هوايته تحت عبارة (لا أحد يستحق). لذا يجب أن يكون هناك تعاون أكبر بين وزارة التربية والتعليم والأندية والمؤسسات، لتبني بعض هذه المواهب في كل المراحل التعليمية. كما ينبغي على الأسرة التي هي أقدر أو من المفترض أن تكون أكثر اهتماما وإلماماً بقدرات أبنائها وأكثر التصاقا بهم، أن تتواصل مع المدرسة خصوصاً، وأن تلفت انتباه معلميهم إلى أبنائهم والمواهب التي يمتلكونها فالأسرة والمدرسة هما حجر الزاوية في هذه القضية.

كنوز ضائعة

لكل أمة تاريخ وتراث متنوع الجوانب وماض عميق تستمد حاضرها من جذوره الضاربة بالقدم أو العظمة - لتختار نسق الحياة الذي يوضح الرؤية لتصور المستقبل، فنحن، العرب، نعتز بماض شامخ وحضارات سابقة رفدت كل الحضارات في ميادين مختلفة. وللعلوم بأشكالها المختلفة مكانة خاصة فكان لها القسط الوافر من هذا التراث، لذا جدير بنا أن ندفع أبناءنا ليواصلوا هذا المنهج.

لكن إذا لم يجد الطالب من يرشده لتنميه موهبته وخاصة في المدارس، فستبقى قوته الكامنة في داخله غير مستغلة وهنا يأتي دور المعلم الذي يتوجب أن يكون عاملاً إيجابياً في تعامله مع طلابه، لذا من المفترض أن تتم عملية تأهيل للمعلمين من خلال دورات تدريبية مكثفة في كيفية التعامل مع مواهب الطلاب وصقلها بالوجه الصحيح، كما يجب أن توفر لهم الإمكانيات كافة كتحسين الرواتب مثلا حتى يكون المعلم خالياً من الهموم الحياتية وأعبائها، لكي يتفرغ كلية لإعطاء طلبته ما يحتاجون من علم وتربية وأنشطة لا منهجية. ولا ننس أن الطالب هو أولا وأخيرا مرآة تعكس واقع مدرسته وأسرته، لذلك فإن زراعة بذرة الثقة بالنفس والاعتماد على الذات تشكل الأساس الذي يضع الطالب في درب الثقة والتطور، ولا سيما أننا نواجه غزواً فكرياً يهدف إلى النيل من ثقافتنا وطمس معالمها، إذن التعليم يعتبر التربة الخصبة لنمو أي مجتمع وتقدمه.

أسلوب المعلم سلاح ذو حدين

بما أن المعلمين على اختلاف تخصصاتهم يعدون القدوة لأبنائهم الطلاب فإننا نجد أن الطلاب يبدعون في المادة التي يقدمها معلمهم (المفضل). وعلى هذا الأساس يستطيع الطلاب التأقلم مع التفكير الإبداعي بسبب معلميهم..

ومثال ملموس على الأسلوب البناء للمعلم وأثره الإيجابي على الطالب، أنه في حال قيام أحد الطلبة بكتابة قصة قصيرة إلى معلم اللغة العربية مثلاً (وكانت رديئة نوعاً ما) لكن المعلم امتدح محاولة الطالب وأثنى عليه ثم أرشده إلى أخطائه، فان الطالب سيتولد لديه حافز ورغبة أكيدة بتكرار المحاولة الجديدة لكتابة قصة أخرى، أما إذا حدث العكس

ورمى المعلم القصة بوجه تلميذه واصفاً تلك المحاولة بالرديئة فهذا التصرف سيخلق رد فعل سلبي داخل التلميذ، ويجعله متقوقعاً على نفسه ويتعاظم إحساسه بالفشل التام وربما لن يفكر بالمحاولة مرة أخرى.

المعلم الأفضل

والتاريخ أكبر شاهد على أن المعلم المفضل له أثره في حياة الأفراد؛ فلو كان معلم الفيزياء هو المفضل لوجدنا أن هناك عدداً من الطلاب يخطط للدخول في هذا المجال والاختصاص به؛ وهنا لا يمكن عزل هذه الرغبة عن موهبة المعلم وأسلوبه المشوق في عرض المادة وإيصالها بكل بساطة إلى أذهان الطلاب وهذا بكل تأكيد ينطبق على المواد الأخرى.

لذلك نرى أن معاملة المعلم لطلابه لها أثرها البالغ، فبالإحسان يبدع الطلاب وتتفجر مواهبهم،

أخيراً لا يسعنا إلا أن نتمنى على وزارة التربية والتعليم أن تضع خططاً كفيلة بتحقيق أهداف وغايات التعليم، كعقد امتحانات للطلبة لالتقاط الموهوبين؛ كما نقترح تنظيم امتحانات أيضا للمعلمين كل ثلاث سنوات لفحص الكفاءة والمواكبة والحساسية لمفهوم التعليم الإبداعي كأسلوب فعال لإنشاء جيل من المبدعين، يعمل كخلية واحدة متفاعلة وفيها حيوية تصب لصالح المجتمع الذي يعيشون فيه.

الخريجون.. حلم وواقع؟!!

رنا عبد الرحيم

اقترب موعد التخرج لهذا العام، ومع صدور هذا العدد سيصبح آلاف الخريجين عاطلين عن العمل!! إذاً هي سويعات تفصل بين الحلم والواقع؟!

وقبل الانتهاء من الامتحان قبل الأخير سيبدأ السؤال يوجه إلى الخريج، (شو دبرت شغل؟؟). ومع الانتهاء من التهاني والزغاريد، يبدأ المشوار... مشوار البحث عن وظيفة؟.

وصلت نسبة البطالة بين خريجي الجامعات الفلسطينية 31,7% في الربع الأول من عام 2005 حسب مركز الإحصاء الفلسطيني، وهي في تزايد مستمر مع هذا الوضع المتردي الذي نمر به، والذي كان أحد أهم مسببات الظاهرة المتفاقمة بوجود العراقيل الاسرائيلية أمام نمو وتطور الاقتصاد الفلسطيني الذي يشهد في المرحلة الراهنة أزمات مالية متزايدة.

سياسات فاشلة

في حين ما تزال السياسات المتبعة في مؤسساتنا التعليمية معقلاً لتفشي هذه الظاهرة، فغياب التخطيط المنهج الذي يوازن ما بين التعليم العالي الفلسطيني وسوق العمل يفاقم من هذا الوضع؛ فالمواءمة ما بين الخطط الدراسية والتنمية البشرية، هي المطلوبة لإيجاد التوازن والتكامل فيما بينها.

فبرنامج المساقات المطروحة في جامعاتنا لا يواكب الاحتياجات الحقيقية للسوق المحلي، وعدم وجود أهلية للخريجين، وضعف كفاءاتهم، ومحدودية مهاراتهم العملية من متطلبات أساسية كاستخدام الحاسوب، واتقان اللغة الإنجليزية، ومهارة الاتصال، والتعامل مع الآخرين، أدى إلى تدني مستواهم العملي.

إلى ماذا يحتاج الطلاب..؟

يحتاج الطلاب إلى التدريب المهني، لمواكبة روح العصر، وقد أدى اعتماد المنهاج الفلسطيني الجامعي على التلقين، والأسلوب النظري، وخلوه من التطبيق إلى انعزاله عن المحيط الخارجي، ولإيجاد الترابط ما بين المنهاج ومتطلبات سوق العمل كان الأجدى إيجاد جسور التواصل ما بين المؤسسة التعليمية والعاملين في المؤسسات الاقتصادية الموجودة في السوق المحلي، لمعرفتهم باحتياجات السوق، ووضع النقاط الرئيسية التي يقوم عليها المنهاج المتبع في جامعاتنا الفلسطينية.

ولتدريب الخريجين على هذه المتطلبات على مركز الإحصاء دور لا يستهان به بالبحث عن ما هو جديد من تخصصات مطلوبة في سوق العمل الفلسطيني.

وما نواجهه في مؤسساتنا التعليمية هو عدم وجود مواءمة بين الهيئة التدريسية وهذه المتطلبات، فالأداء التدريسي تقليدي غير كفءٍ مع تلك الاحتياجات وهناك فجوة واسعة ما بين نوعية المدرسين ومعرفتهم باحتياجات السوق لبعدهم عن تقديم الأبحاث والأساليب التكنولوجية الحديثة.

مسؤولية المجتمع

ومع غياب الوعي والتثقيف بتوجيه الطالب لدى لحاقه بالجامعة عزز من وجود هذه الأزمة، فما يسمى بالتخصص اللامع لدى الأهل وحث أبناءهم بالتمسك به أدى إلى إهمال التخصصات التقنية والمهنية (الدبلوم) التي تكون كلياتها شبه خالية من الملتحقين.

يجب، هنا، تحسين الصورة المرسومة لإقناع الملتحقين بالتوجه للتخصصات التقنية المهنية؛ وعلى الجامعات أن تعمل على عرض كل التخصصات الموجودة قبل التسجيل، حتى يتم الاختيار الصحيح من الطلاب وفتح تخصصات جديدة تساعد على تنمية المجتمع، وتلبي حاجات السوق وتتبع التطور المتسارع في العالم، لا تخصصات تقليدية لا فائدة منها سوى اسمها لدرجة حدوث التخمة منها.

وحتى تتبلور شخصية الخريج، نحتاج إلى استراتيجية تعليمية متجددة مع محيطها الخارجي تراعي حاجة الوطن لتلك الطاقات، لتعزز الوجود الفلسطيني في مواجهة الاحتلال.

حواجز الذل مرة ثانية

آمال أبو شنب

يجثم في تواضع مرشد روحي - رأيته في التلفاز - يسير بين الناس، يرتدي أبلى أسمالهم، ويتحدث بلغة قريبة من لغتهم، إلا أن الحراس يبعدونه بمسافة طويلة لا تسمح له بأن يمارس مهنته القريبة من النبوة، هذا هو التشابه بينهما. وحاجز بيت ايبا - يقع على الطريق الرئيسي بين نابلس وطولكرم -. النظام يفرض حين الاقتراب، تقبيل الأيادي للشخص الأول، وإظهار الهوية للشيء الثاني، والحراس في كلتا الحالتين مدمنون على إبعاد الناس وإخضاعهم بحجة الروحانية في الحالة الأولى، وتعليم الانضباط واحترام الدولة المحتلة في الممارسة الثانية.

هنا - الحاجز - في الجزء المقتطع من نابلس فضلت الدولة "الأكثر تمدناً" مقارنة بجيرانها العرب، أن تمارس أبشع أساليب التنكيل بالإنسان، تحتل أرضه، وتنشئ معقلا ثابتاً للتفتيش، يجرد الإنسان من اسمه وكرامته ويخضعه لقانون الطابور و"لخورا" - ارجع للوراء - كلما فاض بأحدهم الكيل وأراد أن يخرج عن النظام المستبد، ولذلك لا نستطيع الاعتراض على إيقاف السيارة أو إنزال الركاب أو حتى الحواجز الثابتة أو الطائرة - المتحركة -، فبروتوكول الرقي يتطلب ذلك، كي نكون قادرين على حكم أنفسنا بأنفسنا رغم الانتخابات، أو يقنعونا بأنا أناس لا خبرة لهم بالسياسة رغم الانتخابات أيضاً، استعمار بطعم مخفف يكون لفظه في الوقت الحالي استحماراً نحصل من خلاله على ميزات الدول النائمة، أو النامية مراعاة لشعورها.

الأهداف...

ولأن القضية الفلسطينية معضلة لا حل لها، أفترض أن تكون الممارسات الدالة على القوة لا تخطر على ذهن، فالجندي يوقفك ويسألك إن كنت حماسا أو فتح، ولا ينتظر الإجابة، ينظر إليك بسخرية، أنت حماس ممنوع الدخول "مخرب"، أو أنت فتح ممنوع الخروج موقع.. وفي كلتا الحالتين لا تحظى بفرصة للتعبير أو الرد أو الدفاع عن نفسك. وهذا الأسلوب بالتعامل مع الفلسطيني يظهر الكيفية التي تتعامل فيها الدولة الإسرائيلية مع العهود والمواثيق الدولية في احترام الإنسان الذي يمثل الأولوية في كل شيء.

وقد ذكر مسؤول لم يذكر اسمه في موقع اسرائيلي أن الهدف الأساسي من وضع الحواجز الثابتة هو امتهان الكرامة، والضغط النفسي، ووجد الباحثون النفسيون أن الحواجز الاحتلالية بيئة خصبة ليثبتوا نظريات في علم النفس لم يستطيعوا العمل عليهم لانعدام الظروف الملائمة، من تدمير للنفسية، وحث الإنسان على الغضب، والإتيان بسلوكيات غير متوقعة، بالإضافة إلى زرع الخوف في القلوب والهيبة من العدو باعتباره المتحكم بمعابر الدخول والخروج، أي بعبارة أخرى تحطيم الكائن البشري وجعله أداة للطاعة فقط. ومن مكانه القريب من الباب الكهربائي الدوار، تابع محمد جاد - طالب سنه ثالثة - الزمن وهو يمر ببطء، ووقت الجنود الذين يمنعون المرور من خلال الحاجز لا يريد أن ينتهي.ومكانه لم يتغير منذ ساعة. وقال جاد: "الوضع لا يطاق إلا أنني أتحمل لأني أريد العودة إلى منزلي". وأضاف بلهجة متهكمة "أصبحت أحب أن أعطي نفسي رقما كما السجناء، فنحن لا نملك ميزة الحرية، وننتصر على الوضع بالسخرية مما نحن فيه، لعلها تفرج بين لحظة وأخرى".

أما ريم - طالبة من كلية الآداب - فتقول: "أتمنى لو أصل نابلس دون أن أضطر إلى عبور الحاجز، فهو بمثابة الجحيم اليومي الذي أمشي نحوه".

وتكمل "في البداية كان الوضع صعباً علي، فجندي لا يتجاوز الخامسة عشر عاماً يتحكم بمرورك أو عدمه، أما الآن مع أن الوضع لا يختلف من حيث الصعوبة إلا أنني اعتدت الأمر، وهذا ما يخيفني،".

أما أمنية ريم فهي العودة إلى بيتها باكراً، دون أن يكون هدفها الأول من الوصول هو الأكل والنوم، للاستعداد اليوم التالي كي تذهب للجامعة دون أن تتمكن من مراجعة حتى محاضراتها.

حكاية أخرى...

رغد عبد الله - سنة أولى من كلية الآداب -، عبرت عن إحباطها من الوضع القائم، وأن الظروف التي تشهدها المدن الفلسطينية لن تتغير إذا بقي رد الفعل الدولي على الممارسات الإسرائيلية بمثل هذا النوع من البرود وعدم المبالاة، فتقول: "مساء الأمس اضطررنا إلى تغيير الباص ثلاث مرات كي نصل طولكرم".

تتوقف قليلا ثم تعاود الحديث قائلة: "بعد أن أمضينا ساعتين على الحاجز، مر الباص وحجزوا السائق، فانتظرنا ساعة حتى أتى باص آخر، وحينما وصلنا "حاجز عناب" منع الباص الجديد من الدخول إلى عنبتا، ونزل الركاب، الفتيات يمررن دون تدقيق في الهويات، أما الشباب فاصطفوا، وانتظرنا قليلا أتى الباص الثالث مع انتظار جديد للشباب، وبهذا نكون قد ضربنا الرقم القياسي في الوصول إلى طولكرم، أربع ساعات تقريباً، وثلاث باصات".

أما ف.ف - طالب هندسة فقد عبر عن استيائه من الجنود الذين يسخرون منه كلما مر من الحاجز، فطوله يجعله مثاراً للنكات والسخرية التي يجيدها الجنود كما يصف، فيقول: "في كل مرة أنزل فيها من السيارة أو الباص أكون مستعدا لما سيفعله الجنود معي، تاركين ضحكاتهم تعلو، إلا أن اليوم كان الأسوأ". ويردف ف: "يصل طولي إلى مترين وحينما أقف بالقرب من الباص - سبع ركاب - أكون ظاهراً من الجهة الثانية، مما لفت نظر جندي قصير، فنادى زملاءه ليقيسوا أطوالهم، فأنا مسطرة ممتازة كما قال، وبعد مرور ربع ساعة تغيرت أسئلته لتكون كيف يصلني الماء، وكيف يستطيع أن يصل إلى طولي، و كيف هو الجو عندي، وهل هناك من هو أطول مني في المدينة، وظننت أنه سيأخذ صورة معي للمنظر المضحك الذي يثيره كلانا من طول أكثر من المألوف، وقصر ظاهر بشكل كبير".

أما أنا فكان حظي الأسوأ فيهم جميعاً حيث ركبت الباص الذاهب إلى طولكرم مباشرة، وقطعنا الحاجز بيسر، لكن هذا المرور كان خادعاً، حيث اعترضتنا 5 حواجز طياره - غير ثابتة - ما بين بيت ايبا وطولكرم، يكرر الجنود على مسامعنا كلمة "ممنوع طولكرم" وهو ما أدى إلى أن تمتد رحلة العودة إلى بيتي 4 ساعات، وهي في الوضع الطبيعي، أي دون حواجز

"عراقيل احتلالية" تحتاج إلى ثلث ساعة فقط أو 25 دقيقة على أكثر تقدير. ولمن لا يعلم أؤكد أن رحلة العذاب هذه تتكرر يوميا خمس مرات في الأسبوع ذهابا وإيابا، لأنني ما أزال طالبة في جامعة النجاح، وهذا الهم بطبيعة الحال ليس فرديا، فيعاني منه الآلاف الطلبة والموظفين، ومئات المدرسين، وفي النهاية فالحاجز يطال الشعب بكل فئاته بإجراءاته القاسية، المذلة وغير الإنسانية التي ستبقى وصمة عار على جبين دولة الاحتلال، و المجتمع الدولي، وكل دعاة التحرر في العالم الذين ينادون بأن الإنسان أهم ما على الكرة الأرضية ولا يفعلون شيئا يردع الانفلات الاحتلالي وتماديه في تجاوز كل المعايير والقواميس التي عرفتها البشرية، فأين الضمير العالمي مما يجري لنا على مرآى ومسمع العالم؟؟!

هل تغيرت نوعية التعليم؟

ملك قمحية

يعتمد نظام التعليم في أي بلد من بلاد العالم على ثلاثة أقطاب، وهم الطلاب والمدرسون وأما القطب الثالث فهو البيئة المحيطة، ويؤثر كل منهما بالآخر بشكل كبير، إلا أن الكثير منا يلقي العبء الأكبر على المعلم والنظام التعليمي من جهة وعلى الطالب من جهة أخرى، حتى بات عدد كبير من الناس يلقون باللوم عليهما، ولكن السؤال في بعض الأحيان يعتبر مهما ويعكس وضعاً أكاديمياً قائماً، فبينما يلقي الأهل اللوم على التعليم يلقي المدرس اللوم على الطالب لكي يظهر هذا التساؤل "هل تغيرت نوعية التعليم أم تغيرت نوعية الطالب" ومن الملام فعلاً؟

الأهل يقولون: التعليم أصبح ثقيلاً على نفوس أبنائهم، بدءاً من المدرسة وحتى الجامعة، وأنه يفوق مستويات الطالب الذهنية، بالتالي يدفع الطالب إلى عدم الاكتراث بدراسته، وإصابته بالملل في بعض الأحيان.

ولكن لو تحدثنا عن دور الأهل وفاعليتهم في تشجيع أبنائهم على الدراسة، فعدم التدخل في اختياراتهم أو ما يريدون مبدأ يجب احترامه، ويستطيع الأهل تغيير نظرة أبنائهم للتعليم، ولكن ليس بالفرض بل بالتربية والأسلوب المناسب، كترغيبهم بالتعليم منذ الصغر، وإشعارهم بالمسؤولية، وجمال الشعور بالنجاح، والتفوق، وقيمة الدراسة في بناء المستقبل، ومن المحبذ ألّا يتحدث الأهل عن سلبيات المنهاج مثلاً أمام طفلهم، فربما ترسخ هذه القيم في عقله، لأنها الطريق الأسهل من الطريق الثاني: الاجتهاد.

وأما عن موقف المعلم، فيجب ألّا يختلف عن دور الأهل، فالطفل يتأثر بالمعلم والمدرسة مثلما يتأثر بالبيت.

لكن الوضع في الجامعات يختلف، فالمؤسسة التعليمية كلما كبرت تكبر معها المشكلات أيضاً، فأمام هذه العقول الشابة التي نضجت وكبرت وأصبحت تملك قرارها وتعرف مصلحتها تصبح المشكلة أكبر.

والتساؤل المطروح أمامنا، هل فعلا تغيرت نوعية التعليم في الجامعات في العشر سنوات القليلة الماضية مثلاً؟، أم تغيرت نوعية الطالب؟، وإن حصل أي تغيير لأحدهما فهل استطاع الآخر مواكبته؟

لنتحدث عن المنهاج أولا..

بعض التخصصات تحافظ على المادة التعليمية أو مراجع المادة منذ زمن دون تغييرها أو تعديلها، وبعضها يحرص على البحث عن كل جديد بالتخصصات العلمية كالهندسة و الطب و... إلخ.

بعض الأقسام أو التخصصات تحرص على تدريس مادتها التعليمية باللغة الإنجليزية، وخاصة العلمية، وأما الأدبية فلا تحظى بهذه الفرصة، بالرغم من أن بعض المواد التي تدرس بالكليات الأدبية، لا يوجد لها مراجع باللغة العربية، مما يضطر المدرس إلى ترجمة المراجع لتدريسها بدلا من تدريسها بلغتها الأصلية، خاصة ما يكتب منها باللغة الإنجليزية التي يفترض أن يتقنها كل طالب في الجامعة.

بعض المناهج، مثل منهاج الإحصاء، منهاج في كلية الاقتصاد، يعتمد على الرياضيات والعمليات الحسابية، فلماذا نقوم بتدريس الأجيال المختلفة الأمثلة ذاتها، التي درست للأجيال السابقة؟ ألا يمكن إيجاد معادلات وأرقام جديدة تؤدي إلى نفس النتيجة دون التكرار؟

هل إن أعطيت الطالب مثلاً، مثالاً، كنت قد أعطيته لطلاب السنوات السابقة تكون قد أسهمت في رفع مستوى الطالب علماً أن مستوى تفكير كل إنسان يختلف من عام إلى عام، ومستوى تفكير الجيل يختلف عن تفكيرنا نحن الجيل الآتي، فهل هذا لمصلحة الطالب؟

هذا المثال يقودنا إلى تساؤل آخر هو ما تأثير هذه الأمور:لغة المنهاج، زمن المنهاج، ووقت صدوره، أمثلة المنهاج، على ذهن الطالب؟

طرح المادة أو معالجتها:

ونعني بذلك الوسيلة التي يستخدمها المدرس لإيصال الأفكار، أو الشرح للمادة الدراسية للطالب هل تتم عن طريق التلقين، أو عن طريق الحث على التفكير والتحفيز على البحث؟

لا ننكر أن قسماً لا بأس به يتبع أسلوب الحوار والنقاش والبحث العلمي، إلا أن هناك فئة غير قليلة من المدرسين لا زالت تحتفظ بطريقة التلقين، حتى إن الطالب في بعض الأحيان لا يهتم إن وجدت كتبه معه أو نسيها بمقدار ما يهتم بساعة يده، حيث يستمر بالنظر إليها وحساب الدقائق المتبقية من المحاضرة. ربما يمكن التغاضي عن هذه المشكلة قليلا، إن كان المدرس يتمتع بثقافة عالية ومحدثة فلعله يلقن طلابه هذه الثقافة التي يحصل عليها يومياً بشكل دائم، ولكن كيف يكون الوضع عندما لايتوافر أي منهما؟

يجب ألّا ننسى ما للبحث العلمي والتقرير من أثر في تنمية مقدرة الطلاب على استقراء الواقع المحيط بالطالب.

إن تطور المنهاج مسألة أساسية للوصول إلى تطور التعليم، وإن استطعنا أن نفرض هذا الأمر على المنهاج نستطيع فرضه على المدرس، الذي لن يستطيع تقديم المادة دون تطوير مهاراته ومعرفة كل كبيرة وصغيرة عن المنهاج.

كل هذه الأمور مجرد تساؤلات فقط، نحاول من خلالها الوصول إلى جواب نهائي، ولا نقصد بها إلقاء اللوم على طرف دون الآخر، فالكل يحمل على عاتقه واجباً يجب إتمامه. والواجب الأهم الذي يجب أن يعمل الجميع عليه بوتيرة واحدة، هو النهوض بالعملية التعليمية أكثر فأكثر فلم يبق لنا أملٌ إلا العلم، نحارب به أعداءنا؛ وهو واجب على الجميع وعلى كل إنسان ليس لمستقبل جيلنا فحسب، وإنما لجيل أطفالنا بالمستقبل.

طلبة الجامعات بين مجلس الطلبة وشؤون الطلبة

رنا خموس

ككل طلاب الجامعات، يسعى طلبة جامعة النجاح الوطنية إلى إيجاد هيكلية تنظيمية توحد كلمتهم، و تساعدهم على إيصال مطالبهم إلى المسؤولين. هيكلية يكون عمادها الطلبة، الذين سيشاركونهم الدفاع عن حقوقهم. يعبرون من خلالها عن آرائهم، فهم - الطلبة - يؤمنون بأنهم ليسوا أداة لحشو المعلومات فقط، وإنما أشخاصا فاعلين يأثرون ويتأثرون بواقع الحياة الجامعية.

وبناء على ذلك أوجد مجلس الطلبة، ليشكل المرجعية الأولى للدارسين، ليساهم بكافة الوسائل الممكنة للدفاع عن قضاياهم وحريتهم، ورفع مستوى وعيهم في شتى المجالات، وتعميق روح الانتماء وتطوير وتحديث المرافق العامة في الجامعة وانجاز كل ما من شأنه تحقيق مصلحة الطالب.

المجلس والجامعة

هناك تساؤلات عدة تدور في أذهان الطلبة عن مدى التوافق بين المجلس والجامعة، فالبعض يرى أن هناك حداً معيناً من الحريات، دلت عليه ممارسات إدارة الجامعة التعسفية من حظر لبعض الأنشطة الطلابية، مثل توزيع البيانات على سبيل المثال.

أما الخطر الأكثر وضوحاً فيتمثل في تأجيل الانتخابات لسنوات عدة في جامعتنا - النجاح الوطنية - خوفاً من الشغب الأمني، وحفاظاً على الاستقرار السياسي على حد رأي البعض. لكن عمادة شؤون الطلبة ممثلة بعميدها بلال سلامه لها رؤية أخرى، حيث إن الجامعة هي التي ابتدأت بالانتخابات منذ تأسيس المجلس سنة 1997 وانتظمت في إجرائها حتى يومنا، باستثناء فترتي الانتفاضة، نظراً للظروف الاحتلالية التي يمر بها الشعب الفلسطيني.

وأوضح سلامة قائلا: "إن الأمر يظهر بزاويتين مختلفتين فللعمادة والإدارة رؤية مختلفة تتعلق بمصلحة الجامعة، لكن الطلاب يرون تلك المصلحة من زاويتهم وعلى إثر ذلك يحصل هناك اختلاف بوجهات النظر ليس إلا، ولكن الأولوية دائما للعملية التعليمية".

أما مجلس الطلبة فله وجهة نظر مغايرة لما ذكره عميد شؤون الطلبة والتي عبر عنها الطالب محمد جرادات - عضو مجلس الطلبة في جامعة النجاح الوطنية - بقوله: "إن الإدارة لا تتعاطى بشكل فعال مع حاجات الطلبة التي يطالب بها المجلس".

في حين طرح حسن سناكرة - رئيس المجلس السابق - في كتيب الشبيبة لعام 2005 (صفحات.. الانتصار والعطاء) "سنوات عديدة مضت... وهذا البرنامج لم يكن في جدول الأعمال كما هو مطلوب...مما دفع إدارة الجامعة لأن تصول وتجول في هذا المضمار".

ردود... ومطالب

ويذكر أحمد علي - طالب سنة ثالثة - إحدى المشكلات التي تواجهه فيقول: "عدم وجود خزائن خاصة للطلبة ومراكز خدمات وتصوير قريبة، مما يضطرنا إلى قطع مسافة ليست بقليلة حتى نحصل على ما نريد خاصة في المبنى الجديد".

وأكد جرادات على رأيه السابق" إننا نستاء أحياناً من سياسة المماطلة بتنفيذ المطالب ورمي الكرة في ملعب الآخرين". وتساءل حول الازدواجية في التعامل مع مجالس الطلبة التي مرت بها الجامعة كالتأخير الذي حصل في انعقاد الجلسة الأولى للمؤتمر العام، والتأخير في تسليم مفاتيح المرافق الملحقة بالمجلس لمدة شهر ونصف الشهر.

وأشار في حديثه إلى المناهج قائلا "كان للمناهج التي تدرس في الجامعة نصيب، فطالب المجلس سكرتارياً لجنة التخصصات بإعادة النظر في المساقات التي تدرس، خاصة تلك التي لا تواكب روح العصر في ضوء عدم التوافق والموازنة بينها وبين سوق العمل".

أما سلامة فيؤكد على موقفه المؤيد للجامعة فيقول: "إن حكم الطلاب غير مدروس فهو في غالب الأحيان حكم عاطفي بالدرجة الأولى، أما اذا قدمت بيانات ودلائل على عدم أهلية بعض المناهج، فالجامعة على استعداد للتوقّف أمامها والبحث في أهليتها".

وضع النقاط على الحروف

في ظل الوضع الاقتصادي المر الذي يعيشه الطالب الفلسطيني، هناك حاجة متزايدة لدفع عجلة الصمود إلى الأمام، فجاء قرار إنشاء صندوق إقراض الطالب، كخطوة بسيطة، لحل الأزمة المالية التي يعاني منها الطلبة.

وقد أشار عميد شؤون الطلبة السابق عبد الرازق رشيد في مؤتمر (جامعة النجاح تاريخ وتطور) إلى الجهود التي تبذلها الجامعة قائلا: "إن إدارة الجامعة تدفع سنوياً مبلغاً من المال دعما لهذا الصندوق، وبالجهود التي تبذلها إدارة الجامعة من خلال جولتها للدول العربية من أجل جمع تبرعات لإيصالها من خلال أقساط للطلبة".

وبما أن القروض أصبحت من حق الطالب، كان لزاماً عليه أن يضع النقاط على الحروف. ففي الآونة الأخيرة ظهرت اعتراضات من الطلاب على نسبة القروض التي حصلوا عليها وعلى التوقيت غير المناسب بسبب انشغالهم بالتحضير للامتحانات النهائية، ولا يتوقف الأمر عند هذا الوضع، لتقوم الجامعة بتقليص الفترة الزمنية للكفالة، وتشديد شروطها غير المبررة.

في حين ذكر سلامة: "الجامعة من بداية الفصل تقوم بالتحضير للقروض عن طريق الإعلانات وموقع الطالب على الصفحة الألكترونية، فالعمادة تكون في سباق مع الزمن، ولكن عملية المسح الاجتماعي التي تقوم به العمادة، هي التي تحتاج إلى الوقت، ولم تعمد الإدارة إطلاقاً إلى التشديد في الاشتراطات، فوزارة التعليم لديها قوانين واضحة بهذا الخصوص منها ضرورة وجود الكفيل للقرض، وقد كانت المدة كافية، ولكن للأسف الشديد التأخير يأتي من بعض الطلاب لعدم متابعتهم

للإعلانات وعدم احترامهم للمواعيد، وتوجه إلى الطلاب بدعوة للالتزام بقراءة تعليقات الجامعة ودليلها وما تقدمه عمادة شؤون الطلبة من خدمات تسهل عليهم حياتهم".

ضرورة ملحة

من المتعارف عليه أن عمادة شؤون الطلبة هي الخط الواصل بين الطلاب ممثلين بمجلسهم وإدارة الجامعة، فهي - عمادة الطلبة - تتولى الإشراف على الأنشطة الطلابية وترعى شؤونهم، وتدرس أوضاعهم الاقتصادية وتذلل الصعاب أمامهم، وتتابع عمليات توزيع المنح وتطبق النظام الأكاديمي، وتعمل على إيصال صوت الطلبة إلى الإدارة للعمل على حل مشكلاتهم وهمومهم.

ودعا عضو مجلس الطلبة جرادات إلى ضرورة وجود التفاهم الدائم بين المجلس والإدارة لتحقيق الأفضل "عملها الأهم أن تقف إلى جانب الطلاب وتحاول إنجاز ما يحقق مصلحة الجامعة والطلبة وأن ترسم معنا الطريق".

وبين تلك التجاذبات، يرى طلبة الجامعة، ضرورة وجود أجندة إدارية، لتعميق العلاقة بين المجلس والجامعة، والنظر بواقعية، وموضوعية لدور مجالس الطلبة في الجامعات الفلسطينية وتعزيزها والاستفادة من هذا الدور، بتعميق روح الحوار ونشر الحريات، فمجالس الطلبة جاءت على خلفية الصراع مع الاحتلال وليس مع إدارة الجامعة، فقد نشأت المجالس في ظل ظروف احتلالية وسياسية واقتصادية صعبة؛ فعلينا توجيهها ضد سياسية الاحتلال التدميرية للحياة الفلسطينية كما كان الهدف من إنشائها وليس العكس.

تعريفات طلابية..

آمال حسن

الطوابير..

شيء يبدأ بغيرك وينتهي غالبا بك، وهو السمة الرئيسية لكل عمل تقوم به في الجامعة، من دفع الأقساط إلى تسجيل المواد، والانتظار على حاجز البوابة الشمالية... ووو

يبدأ كل شيء بالنسبة إلي من الصباح، فالجنود يحتجزون السيارات والباصات على امتداد الطريق في طابور لا نهاية لمقدمته، (وبعد أن تتنزل رحمة الجنود علينا) كما يقول الركاب، نتخلص من عقدة الطابور قليلا...

وكالعادة لا أمني النفس كثيرا، فالطابور سيصيبني كمس شيطاني حينما أصل البوابة الشمالية للجامعة، إلا أنه يفتقد النظام، ويمتاز بالعشوائية، والتدافع، فالطلاب الداخلون والخارجون يستخدمون نفس الباب الحديدي... حاجز هنا... وحاجز هناك، جنود وحراس، كلاهم يملكون السلاح، الجنود للقتل، والحراس للتخويف، وللشجارات مع سائقي التكسيات.

ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد، فللطوابير حكاية طويلة مع طلبة النجاح، تظهر ملامحها جلية عند بداية كل فصل، و مأساة تنزيل المواد، وأنت ترتاد كل الممرات تبحث عن مرشدك قبل التخصص، لتجد مكتب من سيساعدك لا ينقصه إلا أنت، الوافد الجديد.

وللمعاملات أيضا أهميتها، وذكراها التي يصعب فقدانها، لتنفق الساعات، وأنت تقف في طابور لا يريد أن ينتهي إلا حينما يغمى عليك من التعب.

فجامعة النجاح لا تمنح درجتي البكالوريوس، والماجستير فقط، وإنما تضيف إلى شهادة كل طالب، ميزة الصبر على اعتبار أن الطابور يجلب التحرر، تيمنا بشعار (الانتظام والعمل يجلبان التحرر) مع فارق بسيط، وهو بالتأكيد الأهداف.

المكتبه..

المبنى الوحيد المكيف، والمسموح للطلاب بالجلوس فيه إن تظاهروا بالقراءة، ولا يشد اليه الرحال إلا في مناسبات الأبحاث بشكل خاص، أما مرتادوه فهم من الفئة المنعزلة عن بقية الطلاب - مش ستايل - عادة....

لا أذكر أنني رأيت الطوابير في المكتبة، فهي المكان الوحيد الذي تتحرر فيه من أي شعور بالكبت، فالطلاب يكثرون على أبوابها طلبا للظل، ويقلون في الداخل، فلا تجد فيها إلا محبي القراءة وهم أقلية، أو أولئك الذين طالبهم الدكتور ببحث ما، يتوهون بين الرفوف وهم يلعنون أنفسهم لأخذهم المادة عنده.

أما الفئة الأكثر ارتيادا للمكتبة، فهي من أصحاب الامتحانات الذين لم يستطيعوا إنهاءها، أو من يبغي الهدوء للنوم، أو للكلام كأن تجتمع مجموعة من الفتيات، يقلقن المسؤول عن الطابق وهو يطالب بالهدوء التام.

فعلى الكتب السلام وعليها أن تغفو فوق الرفوف بسلام.

الساحة الحمرا..

المكان الأكثر إثارة ونشاطاً حتى في الصيف وارتفاع درجات الحرارة، ويمنع على غير المدخنين ارتيادها.... وكل من يبغى - الحش - كما تقول الفتيات، يجد مبتغاه.

لا لون محدد لها، إلا أن الانفعال الذي تتركه في نفس من تسول له نفسه باجتيازها، يعبر عن اسمها، فكل الطرق القصيرة تؤدي إليها، ولكن اجتيازها صعب، فالأعين الجائعة للتحديق، والأفواه التي اعتادت أن تعلق على كل شيء، لا تترك لك الحرية في المسير، خاصة إن كنت لا تلائم أفكارهم، أو النمط الذي يعجبهم، لتكون فريسة سهلة لهم.

فأي طلاب هم هؤلاء؟ من يمجدون الجلوس تحت الشمس لا لعظمة في أفعالهم، كأبطال غسان كنفاني، وإنما للمباهاة بعدد المحاضرات التي لم يحضروها، وآخر الرنات والفيديو كليبات.

هي في الحقيقة عالم آخر، لكنها ورغم ما فيها من مغريات إلا أن الواقع بسوداويته يبقى الأجمل، والأقدر على نقل الحقائق..

التسامح في فضاء التربية والتعليم

علي خليل حمد

التسامح خلق كريم وهو، مثل الشجرة الطيبة، بحاجة إلى من يغرسه في النفوس، وإلى من يتعهده بالرعاية والعناية، حتى يزهر ويؤتي ثماره الطيبة لصاحبه وللمجتمع.

وغياب التسامح أمر خطير، شديد الخطورة، ولا سيما إن وقع بين معلم وطالب في موقف ما، وانعكس ذلك على الموضوع الذي يدرّسه المعلم، فقد يظل النفور من هذا الموضوع قائما، في وعي الطالب أو لا وعيه، طيلة أيام حياته.

وبالطبع، لا يقتصر غياب التسامح أو استخدام العنف، على العلاقة بين المعلم، والطالب؛ فقد يكون ذلك بين طالب وطالب، أو معلم ومدير مدرسة، أو غير هؤلاء وأولئك في مختلف المواقف؛ ولكن المسألة المهمة هنا هي: ما العوامل التي تغذي ظاهرة غياب التسامح؟ وكيف يتم التخلص منها في فضاء التربية والتعليم؟

نبادر إلى القول بوجود عاملين مهمين في وجود هذه الظاهرة السلبية، وهما: تكوين الشخصية غير المتسامحة، وطبيعة البيئة غير المتسامحة؛ وسنتحدث عن هذين العاملين، بعد قليل، ولكن من المهم سبق ذلك بتوضيح معنى التسامح.

حقيقة التسامح:

التسامح موقف يتبناه الفرد أو الجماعة نحو الآخرين ويتسم باحترام الآخرين، ومشاعرهم، ومعتقداتهم، وثقافتهم؛ ويستند التسامح إلى الإيمان بالتعددية، ويعتمد الحوار وسيلة لحل الخلافات، وإثراء الفكر والعمل في مختلف المجالات.

وتجدر الإشارة إلى ما جاء في الإعلان العالمي للتسامح 1995 من أن "التسامح لا يعني المساومة أو التساهل، بل التسامح هو قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالميا...".

وجاء في الإعلان أيضاً:

"لا تتعارض ممارسة التسامح مع احترام حقوق الإنسان، ولذلك فهي لا تعني تقبل الظلم الاجتماعي، أو تخلي المرء عن معتقداته، أو التهاون بشأنها، بل تعني أن المرء حرٌ في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم...".

التسامح والشخصية:

من منظور التسامح، يمكن الحديث عن ثلاثة أنماط رئيسة من الشخصية:

- الشخصية التسلطية:

وهي شخصية واحدية التفكير، غير تشاركية، تحاول فرض إرادتها على الآخر ولو بالعنف، وتتخذ القرارات بنفسها، وتحاول تضييق هامش الحرية للآخرين، وهي أقرب ما يمكن إلى الشخصية السّادية.

- الشخصية المتسامحة:

وهي شخصية تعددية التفكير، تشاركية، وتتخذ القرارات بالحوار مع الآخرين، وتترك لهم هامشا واسعا من الحرية.

- الشخصية التابعة:

وهي شخصية تستقبل الأفكار ولا تنتجها، غير تشاركية، وتحاول تضييق هامش الحرية لنفسها، وهي أقرب ما يمكن إلى الشخصية المازوشيّة.

وفي الواقع العملي، ربما لا يكون دقيقاً القول بانتماء فلان أو فلانة إلى هذا النمط أو ذاك؛ ولعل الأدقّ أن يقال إنه/ إنها أقرب إلى هذا النمط أو ذلك من أنماط الشخصية في موقف بعينه أو في مواقف بعينها.
أما كيف تتكون شخصية الطفل، فإن ذلك يعتمد على عاملين رئيسين: البيت والمدرسة.

البيت أولاً:

يقوم الأب بدور أساسي في تكوين شخصية الطفل، وهو ما أشار إليه أبو العلاء المعري، في قديم الزمان، بقوله:
وينشأ ناشيء الفتيان منا:
على ما كان عوّده أبوهُ

ويتحقق ذلك لعوامل عدة منها: صغر سنّ الطفل، وهيمنة الأب في العائلة البطريركية السائدة في مجتمعنا، ولكون الأب القدوة التي يحاول الطفل تقليدها أيضا.

وتشير الدراسات التربوية إلى وجود اختلاف كبير في شخصية الطفل الذي يعاني من تنشئة تسلطية عن شخصية الطفل الذي يحظى بتنشئة ديمقراطية، وذلك في تسع خصائص رئيسة هي: الاستقلال والتبعية، النزعة الاجتماعية والميل إلى العزلة، المثابرة والإحباط، ضبط الذات والاضطرابات الانفعالية، الاندفاع الايجابي والجمود السلبي، الإبداع والتوافقية، المودة والعداوة، الإحساس بالأمن والإحساس بالقلق، الحزن والفرح.

ولا تعني هذه القائمة الطويلة تدليل الطفل في مقابل التحكم في حركاته وسكناته، فكلا الأمرين يؤدي إلى شخصية تابعة أو تسلطية، أي أن أحلاهما مرّ؛ وإنما ينبغي أن تكون تربية الطفل قائمة على تعريضه للمخاطرات المحسوبة من جهة، وتعويده الاعتماد على الذات والتعاون مع الآخرين من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة سلبية أخرى في البيت، هي وسائط الإعلام كالتلفاز والحاسوب، التي تحفل بالبرامج الداعمة للعنف وعدم التسامح، إذا لم يتم استخدامها بطريقة صحيحة، بوساطة التدخل الواعي للأبوين.

المدرسة ثانياً:

تلي المدرسة البيت في التأثير في شخصية الطفل، ويقوم المعلم – في الغالب – بدور الأب الذي يمارس اتجاهاته التسلطية، أو المتسامحة، أو التابعة، على نحو مماثل له، وفي هذا يقول شوقي:

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى:
روح العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرةً:
جاءت على يده البصائر حولا
وإذا أتى الإرشاد من طرف الهوى:
ومن الغرور فسمه التضليلا

وكما هو الحال في البيت، يتخذ عدم التسامح أشكالاً عدة في المدرسة، منها العنف الجسدي، أو اللفظي، أو إسكات الطالب ومنعه من ممارسة نشاط ما، أو تقديم اقتراح ما – حل مختلف عن الحل الذي قدمه المعلم للمسألة، على سبيل المثال، وكذلك امتناع الطالب نفسه عن تقديم اقتراح ما لأي سبب من الأسباب.

ويتأثر نشوء اللا تسامح والعنف في المدرسة أيضا، بالبيئة المدرسية، وظروف العمل، والمواقف الحرجة، وما إليها من أحوال غير سليمة، ومن الأمثلة على ذلك، ازدحام الصفوف الذي يعوق مشاركة الطالب في التفاعل الصفي، والرواتب التعسة التي تضيق الخناق على المعلم، والعبء التعليمي الذي يحرم المعلم من الاستغلال الحر لوقت الفراغ في أثناء الدوام المدرسي، وكثافة المقررات الدراسية؛ كل ذلك يجعل من المحتم، أو شبه المحتم، فرض الحلول الأحادية المبتسرة التي لا تحتمل المشاركة والتعاون بين عناصر العملية التعليمية، وإسهام كل منها بما يتواءم مع أهدافه وحريته وحقوقه.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أمر ينبغي أن يحسب حسابه في توقع وجود اللا تسامح والعنف في المدارس، وهو: ارتفاع مستوى عدم التجانس في الوسط المدرسي، مثل: اختلاف الأجيال، أو الاختلاف العرقي والإثني، أو الاختلاف الطبقي، أو غير ذلك من الاختلافات.

ما العمل؟

قد يكون من المفيد هنا تقديم بعض المقترحات لبعث التسامح وتعزيزه في فضاء التربية والتعليم:

- تلبية حاجات المعلم المادية والمعنوية، وتخفيف العبء التعليمي الذي ينوء به، والعمل على استعادته مكانته المجتمعية بحيث يصبح جديرا بأن يكون قدوة للأجيال الشابّة.
- تعزيز الأنشطة التعاونية في المنهاج، واستخدام أساليب التعليم/ التعلم التشاركية مثل طريقة المجموعات، وذلك في مختلف المباحث الدراسية، وتفعيل الأنشطة اللا منهجية وبخاصة ذات الصلة بالمجتمع.
- رفع مستوى جاذبية التعلم والتعليم، وذلك بتحسين البيئة المدرسية، وتعزيز الإنجاز من خلال المكافآت، بدلاً من تجاهله السائد حاليا، وبدلاً من أسلوب العقاب الذي لا يحصد منه المعلم والمتعلم سوى الخيبة والإحباط.
- بناء علاقات تفاعلية إيجابية بين المدرسة والبيت، لتعزيز الاتجاهات الايجابية القائمة على التسامح في كل منهما، ومعالجة السلوك التسلطي في الأسرة، إلى جانب حل المشكلات التعليمية الخاصة بالطالب.
- نشر ثقافة التسامح وأدبياته، وإبراز فوائده ونتائجه الايجابية، في مختلف المواقع من فضاء التربية والتعليم.

Free Education

Dedicated to advocating educational rights in Palestine Issued by Ramallah Center for Human Rights Studies

مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان

مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان تأسس عام ١٩٩٨ من قبل مجموعة من الأكاديميين والباحثين والمحامين والناشطين في قضايا حقوق الإنسان. يسعى المركز إلى نشر ثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان والتسامح والمساواة من خلال الدراسات والأنشطة والأبحاث القانونية والاجتماعية المتعلقة بحقوق الإنسان ولا سيما الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، ارتباطا بالقوانين والمواثيق والأعراف الدولية بالإضافة إلى رفع وتعزيز مبادىء حقوق الإنسان وسيادة القانون في فلسطين. كما يهدف المركز إلى تبني مداخل علمية ومنهجية لتأصيل وترسيخ قيم حقوق الإنسان في المجتمع والثقافة الفلسطينية، وترسيخ الثقافة الإنسانية في المجتمع العربي وتسليط الضوء-من خلال البحث النشط- على انتهاكات حقوق الإنسان في فلسطين والدفاع عن مبادىء الحريات الأساسية والعدالة الاقتصادية والاجتماعية في مناحي الحياة المختلفة..

قادة المستقبل...

آمال أبو شنب

أربعة أعوام تختزنها الذاكرة، تتكأ على حصيلة من الوجوه والأحداث والأمكنة التي يصعب التعرف عليها دون اجتياز البوابة الشمالية لجامعة النجاح الوطنية، التي هي أول من يستقبلك وآخر من يودعك.

يتعثر الطالب الجديد بخطواته، بأوراق ثبوتيه تؤكد اجتيازه امتحان الثانوية العامة، وأخيراً بأحلامه التي تستجدي الحياة حينما تصطدم بالواقع الهزيل للتخصص الذي يريده، وتبدأ مسيرة الصراع مع سنوات الدراسة، وتغيير المقاعد في قاعات متشابهة تقريبا في المساحة، والوجوه، والملل الذي تبعثه معظم المواد الدراسية، لتكتسب أنت - الضيف المؤقت - بجدارة شرف الجلوس على كل الكراسي.

أما سنة التخرج فهي الأفضل، لأنك تشعر بالحرية تقترب منك بثبات لأنك الآن أصبحت ناشطاً حقيقياً في ميدان الحياة، إلا أن عدد الأدراج التي تصعدها، والأبواب التي تطرقها منذ اليوم الأول لاستحقاقك لقب طالب جامعي وحتى استلام الشهادة، وخروجك من البوابة التاريخية التي دخلت منها، يفقد هذا الإحساس رونقه.

اليوم، وسنواتي الأربعة تتهيأ للاحتفال بميلادها الأول، وأحلامي تنتظر فارسها الأيوبي، أجيد التسكع في الممرات وقرع الأبواب، ورفع المذكرات التي تنقلني إلى قول شيخ الكتاب في كتاب الأيام لطه حسين" ومن كان حريصاً منكم على ألا تبطل صلاته فليتبعني"، فالمذكرة ترمز للشرعية البيروقراطية الموروثة في العمل كما في قدسية شيخ الكتاب، دون أن يكون هناك ضرورات تبيح المحظورات في قواميسنا العملية. فلو أن الأنفاس تعد، لكانت جامعتنا العزيزة أول من اخترع نظام المذكرات لمعرفة استهلاك كل شخص، وهل يستحق... ووو

وواقع الأمر أن الطالب يقترب من مهنة الصعلكة قسراً واختياراً على حد سواء، وهو يعالج إهماله في متابعة المواد، والامتحانات غير المكتملة، دون أن أنسى دور (التطنيش) الذي تمارسه الجامعة من خلال إهمال بعض المرشدين للمساعدة، وعدم تنظيم البيانات بصورة جيدة في معظم الأحيان.

فمن المفيد أن يكون الطالب ذا اختصاصات مختلفة، الصعلكة، رفع المذكرات، قرع الأبواب، فالشخصيات الملمة بأكبر قدر من المعلومات، هي الأقدر على تخطي المجتمع النمطي، وقيادة الغوغاء كما يعتقد حكماء اليونان قديماً.

في الحقيقة أنا لا أنكر تكاسلي في متابعة المواد، وانتظار اللحظة الأخيرة - صفة عامة لأغلبية الطلاب - لأعاقب بصورة لن أنساها وأنا أتلقى خبر تأجيل تخرجي للفصل الأول، فمن هو المذنب الأكبر أنا أم الجامعة؟!.

BlueBell